

كلمة شهرية بعنوان

الولاء والنصرة ... هل ماتت في الضمائر والقلوب!!

بقلم

محمد بن سعيد الأندلسي

عفا اللّه عنه

لشهر جمادى الأولى من عام ١٤٤٣ هـ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين أما بعد فإن ما يعيشه المسلمون في هذه السنين العجاف من الغربة والاستضعاف والاستخفاء في هذه الديار يحتم عليهم أن يكونوا يدا واحدة على من سواهم، وجسدا واحدا إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى كما جاء في الحديث عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»[١]. وهذا من جوامع الكلم من رسول الله ﷺ وهو توصيف دقيق لتكافل المسلمين الذين عرفوا حقيقة الإيمان وخالط بشاشة قلوبهم، حتى صار الحب عندهم لله والبغض في الله والعطاء في الله والمنع في الله وذلك أوثق عرى الإيمان كما روي عَنِ الْبَرَاءِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوْثَقُ عُرَى الْإِسْلَامِ الْحُبُّ فِي اللَّهِ وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ»[٢]، إنه الولاء والبراء العمود الذي يقوم عليه صرح الإسلام، وهو التطبيق العملي لهذا الدين في واقع الناس وحياتهم، وبه يعرف الصادق من الكاذب في دعواه ... وللأسف قد صارت عامة مؤاخاة الناس على الدنيا ومتاعها ودينارها ومصالحها كما روي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «أَحِبَّ لِلَّهِ، وَأَبْغِضْ لِلَّهِ، وَعَادِ فِي اللَّهِ، وَوَالِ فِي اللَّهِ، فَإِنَّهُ لَا تُنَالُ وِلَايَةُ اللَّهِ إِلَّا بِذَلِكَ، وَلَا يَجِدُ رَجُلٌ طَعْمَ الْإِيمَانِ وَإِنْ كَثُرَتْ صَلَاتُهُ وَصِيَامُهُ حَتَّى يَكُونَ كَذَلِكَ، وَقَدْ صَارَتْ مُواخَاةُ النَّاسِ الْيَوْمَ فِي أَمْرِ الدُّنْيَا، وَذَلِكَ مَا لَا يُجْزِئُ عَنْ أَهْلِهِ شَيْئًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[٣]، وإن كانت هذه هي مقالة ابن عباس في زمانه فما عسى أن نقول نحن في هذا

[١] رواه البخاري ٦٠١١ ومسلم ٦٦

[٢] رواه ابن أبي شيبة في مصنفه برقم ٣٠٤٢٠

[٣] الزهد والرقائق لابن المبارك برقم ٣٥٣

الزمان الذي صار ولاء المسلمين لأهل قرابتهم وبني قومهم من المشركين أشد وأقوى من ولائهم للمسلمين، ورابط القرابة والقومية أقوى من رابطة الإسلام، فإذا نزل عليهم أو استغاث بهم أهل القرابة كان منهم الفزع والجود والنفرة، فتذبح الذبائح للقِرى وتقدم الأعطيات للرضا، واذا استغاث بهم المسلمون المستضعفون كان منهم الصدود والقفا وإلى الله المشتكى.

اعلم رحمك الله أن الله لا يقبل من المسلم عملاً حتى يفارق المشركين إلى المسلمين كما روي عن بَهْز بْنَ حَكِيمٍ، يُحَدِّثُ عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ:« لَا يَقْبَلُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ مُشْرِكٍ بَعْدَمَا أَسْلَمَ عَمَلًا، أَوْ يُفَارِقَ الْمُشْرِكِينَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ »"[٤]، فالإسلام يقتضي مفارقة المشركين ومصارمتهم وموالاة المؤمنين ومحبتهم وقد قال الله تعالى عن اليهود: ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ۞ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾.[المائدة ٨٠-٨١.]، قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: ولو كان هؤلاء الذين يتولون الذين كفروا من بني إسرائيل ﴿ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ ﴾ يقول: يصدِّقون الله ويقرُّون به ويوحِّدونه، ويصدقون نبيَّه محمدًا ﷺ بأنه لله نبي مبعوث، ورسول مرسل ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ ﴾يقول: ويقرُّون بما أنزل إلى محمد ﷺ من عند الله من آي الفرقان، ﴿ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾يقول: **ما اتخذوهم أصحابًا و أنصارًا من دون المؤمنين**"[٥].

وإننا من هذا المنبر المبارك ندعو جميع المسلمين والمسلمات إلى إصلاح ذات بينهم وتفقد أحوال إخوانهم وأخواتهم من المستضعفين

---

[٤] رواه النسائي برقم ٢٥٦٨ وأخرجه عبد الرزاق في "المصنف" "٢٠١١٥"، وأحمد ٥/٥، والنسائي ٤/٥ ، وابن المبارك في "الزهد" "٩٨٧"، والطبراني ١٩/ "٩٦٩" من طريق بهز بن حكيم بن معاوية، عن أبيه حكيم، بهذا الإسناد. وله طريقان آخران عند الطبراني ١٩/ "١٠٣٣"و"١٠٧٣". وابن حبان ٣٧٧/١

[٥] تفسير الطبري ٤٩٨/١٠

والمستضعفات، ولا يتركوهم للمشركين يفتنونهم في الدين لحاجتهم إلى بعض الدراهم المعدودات، فكم فُتنت من أخت لما خذلها أهل الإسلام وتُركت تنهشها الضباع والسباع ثم يعيرونها بالشتات وعدم الثبات وهم من خذلها وقت الحاجة إلى الفوات، وكم أسر من أخ لما خذله أهل الإسلام وتُرك في الزنازين وحده وراء القضبان ... فاتقوا الله عباد الله وكونوا عباد الله إخوانا واعلموا أن لإخوانكم وأخواتكم عليكم حقا واجبا أداؤه لا مناص منه ولا محيد، وهو من حقوق الإسلام التي أمر به الرحمن ووصى به المصطفى العدنان ... ولكم في سلفكم الصالح الأسوة الحسنة، قال البخاري: باب إِخَاءِ النَّبِيِّ ﷺ بَيْنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ ثم روى بسنده عن إِبْرَاهِيم بْنُ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: «لَمَّا قَدِمُوا المَدِينَةَ آخَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، وَسَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ، قَالَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ: إِنِّي أَكْثَرُ الأَنْصَارِ مَالًا، فَأَقْسِمُ مَالِي نِصْفَيْنِ، وَلِي امْرَأَتَانِ فَانْظُرْ أَعْجَبَهُمَا إِلَيْكَ فَسَمِّهَا لِي أُطَلِّقْهَا، فَإِذَا انْقَضَتْ عِدَّتُهَا فَتَزَوَّجْهَا، قَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ، أَيْنَ سُوقُكُمْ؟ فَدَلُّوهُ عَلَى سُوقِ بَنِي قَيْنُقَاعَ، فَمَا انْقَلَبَ إِلَّا وَمَعَهُ فَضْلٌ مِنْ أَقِطٍ وَسَمْنٍ، ثُمَّ تَابَعَ الغُدُوَّ، ثُمَّ جَاءَ يَوْمًا وَبِهِ أَثَرُ صُفْرَةٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَهْيَمْ»، قَالَ: تَزَوَّجْتُ، قَالَ: «كَمْ سُقْتَ إِلَيْهَا؟». قَالَ: نَوَاةً مِنْ ذَهَبٍ، - أَوْ وَزْنَ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ، شَكَّ إِبْرَاهِيمُ -»[٦]، هؤلاء هم الصحابة رضوان الله عليهم ... هؤلاء أسلافنا وهم القدوات فكونوا مثلهم أو لا تكونوا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه والتابعين

---

[٦] رواه البخاري برقم ٣٧٨٠